

حلفاء ترامب العرب بين حسابات واشنطن وطهران



جاءت تطورات السجال الأخيرة بين إدارة ترامب وحكام إيران لترتك حسابات حلفاء الرئيس الأميركي دونالد ترامب خاصة هؤلاء ممن يكتون عدااء تجاه إيران.

فعقب تصريح ترامب باستعداده غير المشروط لعقد لقاء مع الرئيس الإيراني لبحث الخلافات بين الدولتين لما فيه مصلحة الدولتين والشرق الأوسط والعالم، أطبق الصمت على بعض عواصم العرب!

إذ وجدت هذه العواصم، التي تضغط ليتشدد ترامب في سياساته تجاه إيران، نفسها في موقف لا تستطيع معه الترحيب بمبادرة ترامب لعدهائها مع طهران من ناحية، ومن ناحية أخرى لا تجرؤ على انتقاد رئيس مختلف غريب الأطوار، لا تدرك كيف سيكون رد فعله إذا رأى دولا بحجمها تنتقد سياساته.

* * *

لم يؤد الاتفاق النووي الذي وقع قبل ثلاث سنوات في عهد الرئيس أوباما إلا لزيادة الاحتقان الخليجي الإيراني وما تبعه من ارتفاع غير مسبوق لنفقات التسليح لدى بلدان الخليج العربي.

ولم يلتفت الجانب العربي إلى أن تعقيدات وخطورة خرائط الصراع في المنطقة تستدعي أكثر من شراء المزيد من الأسلحة، فهي تتطلب تفكيراً مبتكراً من «خارج صندوق البيروقراطيات السياسية والطائفية.»

ومنذ نجاح الثورة الإسلامية في إيران عام 1979 ناصبها العرب وواشنطن العداء. ثم تحولت إيران لنمط مزعج مع سعيها لنشر الثورة خارج حدودها، ثم تورطت طهران في حرب سنوات طويلة مع العراق راح ضحيتها أكثر من مليون شخص وخسرها الطرفان.

ومع تعقد مشهد العلاقات الإيرانية الغربية ووصولها لفرض عقوبات غير مسبوقة في التاريخ، وهو ما نال مباركة رسمية عربية، لجأت إيران للعب دور المخرب Spoiler في قضايا المنطقة، وبررت ذلك بأنه رد مناسب على محاولات الغرب والعرب خنق النظام الإيراني.

ويرى البعض أن هذا السلوك يمكن تفهمه مع انعدام توافر بدائل أخرى؛ حيث لم يكن لدى طهران ما يمكن أن تخسره. من هنا أدرك الرئيس أوباما، وعواصم الدول الكبرى، ضرورة منح إيران وضعا طبيعيا كي تتوقف عن لعب هذا الدور المشبوه.

وأن يصبح لها مصالح مشروعة كغيرها من الدول، وعليه تصبح جزءا من الحل في قضايا المنطقة بدلا من لعبها دور مخرب في العديد منها، ويرتبط ذلك أيضا بانتهاء سعي إيران لامتلاك سلاح نووي ما يعد مكسبا لحلفاء واشنطن من العرب.

* * *

ومنذ وصول ترامب للحكم، تجمعت جهود اللوبيات الخليجية والإسرائيلية في واشنطن لتتفق على إلقاء اللوم واتهام إيران بالمسؤولية عن كل المشكلات التي يعاني منها الشرق الأوسط بدءا من اليمن وسوريا والعراق وصولا للصراع العربي الإسرائيلي.

ورغم منح بعض عواصم الخليج الرئيس ترامب كل ما يريد من صفقات واستثمارات في البنية التحتية الأميركية بما يفوق نصف تريليون دولار، ورغم وصول التحالف الأميركي الإسرائيلي لمستويات غير مسبوقة بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، خرج ترامب مبديا رغبتة في لقاء حكام إيران، وهو ما لم يقدم عليه أى رئيس أميركي منذ نجاح الثورة الإيرانية قبل أربعة عقود.

وبدلا من سعي السعوديين لمواجهة قانون جاستا أو «العدالة في مواجهة رعاة الإرهاب»، وهو القانون الذي فصل كي يتم من خلاله «ابتزاز السعودية» عن طريق توجيه الاتهام لها بالضلوع بصور مباشرة وغير مباشرة في تمويل هجمات 11 سبتمبر الإرهابية والتي وقعت عام 2001 وراح ضحيتها ما يقرب من ثلاثة آلاف أميركي، اختارت الرياض التركيز على مهاجمة إيران، وتأييب دوائر واشنطن النافذة ضدها.

* * *

يعتقد بعض حكام الخليج أن لبلادهم مصلحة في انهيار الاتفاق النووي مع إيران. ولا يدل ذلك إلا على عدم فهم واشنطن وديناميكيات الحركة فيها.

* * *

لا يعرف حكام العرب واشنطن، رغم تكرار زياراتهم لها، ولا يعرفون ترامب، رغم لقاءاتهم المتكررة المصحوبة بمصافحات حارة. ولا أحد يعرف تحديداً من قصد ترامب عندما تحدث عن رغبة لقاء قادة إيران.

كما لا يعرف ما قصده بالقول إن «دولا في المنطقة لم تكن لتبقى أسبوعاً من دون الحماية الأميركية.» ولا يترك ترامب مناسبة إلا ويهين الدول الخليجية مرة تلو أخرى منذ ظهوره على الساحة السياسية قبل ثلاثة أعوام.

ما نعرفه كذلك أن واشنطن يحكمها رئيسٌ يسعى إلى اغتنام ما يستطيع من ثروات العرب.

وما نعرفه أيضاً أن إيران إحدى دول المنطقة، وجدت في الماضي، وستوجد في المستقبل، وليس من الحكمة منح ترامب الغطاء السياسي اللازم لتنفيذ أجنداثٍ لا تكثر بمصالح العرب ولا دمائهم.

ما تشهده دول مجلس التعاون الخليجي من انشاقات غير مسبوقة، يصعب معه إيجاد موقف موحد من التعامل مع إيران. هذا في وقت تستدعي فيه تعقيدات خرائط الصراع وخطورتها في المنطقة أكثر من شراء المزيد من الأسلحة، وهو ما يبدو غير متوافر عند من يديرون السياسة الخليجية العربية.